

مُساءلة هايدجر للموروث اليوناني لأجل استشراق مستقبل جديد للفلسفة

بعبارة أمال *

إنّ معظم القضايا المطروحة على الساحة الفكرية العالمية، إلّا ووجدنا الفلاسفة الألمان قد اهتموا بها وتناولوها بالمعالجة والفلسفة الألمانية فلسفة تدعوا لفتح دروب جديدة من خلال تجديد مهمة الفكر والفلسفة معا ويعتبر "مارتن هايدجر" من بين أهم وأبرز الفلسفة فقد سعي من خلال مشروعه الفلسفي لتجديد مهمة الفلسفة.

وعليه فإن العودة إلى الموروث وكشف ثغراته هي ميزة أغلب الفلاسفة المعاصرين، ويعد "مارتن هايدجر" واحد من بين هؤلاء الفلاسفة، فتجربة هايدجر الفلسفية كان هدفها مسألة التراث الميتافيزيقي حاملا نفسه على نقد كل الأسس التي نبني عليها المشروع الميتافيزيقي وهذا ما يستوقفنا للتساؤل فيما تكمن التجربة الهايدجرية مع الميتافيزيكا ؟، كيف وعلى ماذا ارتكز النقد الهايدجري للميتافيزيكا ؟

إنّ عودة هايدجر إلى الموروث "الإغريق" لم يكن الهدف منه أبدا استرجاع الإغريق إنما كان الهدف من وراء هذه العودة هو تجاوز اللحظة الإغريقية ومحاولة هايدجر ليست المحاولة الوحيدة من نوعها فمختلف أعمدة الفلسفة من نيتشه، هوسرل، الرومانسية... حاولوا تفكيك أعمدة الميتافيزيكا من خلال أعمالهم الفلسفية وهذا ما يقودنا إلى نتيجة مفادها تخطي الفلسفة في نيران الانحطاط لذلك حاول

هؤلاء الفلاسفة إخراج الفلسفة من هذا الضيق الذي شاهده
والدعوة لبدء مغاير للبدء الذي جذرته الميتافيزيقا، والمتمعن في
الكتابات الهايدجرية يلاحظ أنّ أعماله كلها كانت عبارة عن مسائل
للتراث الإغريقي، فالحوار مع الإغريق، والحوار مع الميتافيزيقا، الحوار
مع الموروث، خطوة إلى الوراء كلّها مصطلحات تبرز لنا تجربة هايدجر
الفكرية مع "البدء الإغريقي" فما هي مقتضيات هذه التجربة؟، لماذا
العودة إلى اليونان بالذات؟، ما الهدف من هذا الحوار؟

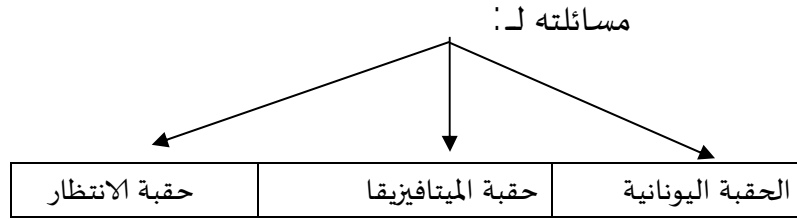
إنّ عودة هايدجر إلى الموروث وإلى الفلسفة اليونانية "لاسيما إلى
أفلاطون وأرسطو وحتى إلى ما قبل السقراطيين إلّا دليلا عن
انغراس ميتافيزيقا الذاتية أو ميتافيزيقا الحداثة ضمن الفكر
اليوناني المبكر"¹ لذا لجأ هايدجر إلى كشف الثغرات التي تنطوي
عليها الميتافيزيقا في سبيل "استذكار البدو واتخاذ القرار حول
المستقبل"²

تكمن أهمية عودة هايدجر إلى الحوار مع تاريخ الفلسفة بدء من
اللحظة الإغريقية لعدة اعتبارات أهمها:

« Tont philosophie s'abreuve à une source, la source pour
Heidegger fut la source greque »³

فمجرد الحديث عن اليونان يحيلنا الأمر إلى بداية التأسيس
للفلسفة اليونانية خاصة والغربية عامة⁴ وعليه ف استذكار قاعدة
الفكر الغربي يكمن في البدء الأول أو كما يسميه هايدجر البدء
التدشيني، الفكر البدئي، الفكر الصبحي⁵ من هنا أصل هايدجر
للعلاقة التي يلزم أن تجمعنا بالفلسفة اليونانية.

ويمكننا تقسيم محطات محاورة هايدجر للفكر الفلسفي لأجل
إستشراق مستقبل جديد للفلسفة في ثلاثة مراحل :



1. الحقبة اليونانية:

إنّ وحدة الطريق التي سلكها هايدجر ظاهرة في علاقته بالإغريق
أكثر منها في أي مكان آخر، فلقد لعبت الفلسفة الإغريقية دورا
أساسيا في الفكر الألماني منذ أيام المثالية الألمانية فيما يتعلق بالتاريخ
والمشكلات التاريخية⁶

إنّ هايدجر يحن إلى الفكر الإغريقي ويمجده ذلك لاعتقاده أنّ
"الفكر الإغريقي ككل شيا يتمتع بالإبداع الأصيل"⁷ وقد عبر لنا
هايدجر في كتابه : question 3 et 5 في الصفحة 58 عن الأهمية
السجالية للفكر اليوناني ذلك لأنهم حسب تعبير هايدجر أهميتهم
تكمن في أنهم قد انفتحوا على الحضور ومن جهة أخرى قد فكروا في
الغياب ومثلما وجهوا نظرهم صوب الاشتهار فكذلك الاستتار بالمثل⁸
فالانسحاب والانحجاب خاصية من خصائص الوجود عند هايدجر
وبذلك تكون الحقبة اليونانية هي "حقبة بدء الكينونة على
التحقيق، وهي حقيقة صبحية تعد فجر سير الكينونة إلى مصيرها
بتلقاء ذاتها"⁹.

إذا: الإنسان الإغريقي من منظور هايدجري كان "متفتح على الحضور مما دفعه للتساؤل عن الحضور بما هو حضور"¹⁰ لذلك يسمي هايدجر البدء الإغريقي بالبدء الأصيل، لكن عندما نقول البدء الإغريقي الأصيل فإننا لا نقصد هنا الفكر الذي يمثل أفلاطون وسقراط إنما نتحدث عن الفكر الما قبل سقراطية "فالبدء الحقيقي حدث مع أوائل مفكري اليونان: من أمثال انكسمندر، وبارمنيدس (ق 6 و 5 ق م) وهيراقليطس (ق 6 و 5 ق م)"¹¹، أما عندما نتحدث عن أفلاطون وسقراط فإننا نتحدث عن بداية لحظة الانحطاط والغرق في الميتافيزيقا بمعنى حقبة "نسيان الكينونة".

2. حقبة الميتافيزيقا

يقول هايدجر في كتابه "الوجود والزمن" الفقرة 6 ص 36 "إن تقويض تاريخ الأنطولوجية مهمة تتطلب الإنجاز" ويكون المقصود بكلمة:

من خلال هذه الفقرة وخلال السياق الهايدجري ككل إحداث قطيعة مع Destruction ماضي الفلسفة وتفكيك التراث الفلسفي السائد حتى نيتشه ذلك التراث الذي يغرق في نسيان الوجود"¹² من حيثيات هذا النص نفهم أن هايدجر يرغب في تقويض الميتافيزيقا التي كانت نقطة بدايتها من سقراط إلى نيتشه وهنا نود أن نفتح قوس للإشارة إلى نقطة مهمة جدا بخصوص مسألة الفكر الهايدجري للفكر النيتشوي، فالحوار مع نيتشه يعتبر بمثابة قفزة إلى بدء آخر لأنه عبارة عن حوار عبور وهذا ما يوضحه هايدجر بقوله:

Qu'il devait de devenir un passage précaire qu montre vers l'avant
et ver l'arrière »¹³

فلسفة نيتشه بالنسبة لهيدجر " تمثل اكتمال الميتافيزيقا فهي تقود الميتافيزيقا إلى إمكانياتها القصوى لذا سيعمل هايدجر على إعادة التفكير في فلسفة نيتشه بإدراجها في سياق الميتافيزيقا الحديثة وبالتالي الميتافيزيقا الغربية برمتها ¹⁴ .

وإذا كان هايدجر يؤكد أن المشروع النيتشوي لم يستطع تجاوز الميتافيزيقا رغم المحاولات العديدة لنيتشه إلا أن الفكر النيتشوي ومن خلال فلسفته التي تعتبر تباشير نحو فلسفة المستقبل كمفهوم الفيلسوف الفنان المبدع الذي أبدعه للخروج من شرك الميتافيزيقا فنيتشه اعتمد الدرب الجمالي كحل للخروج من أزمة الميتافيزيقا، ومن بين الفلاسفة المعاصرين المؤكدين لهذا الطرح نجد الفيلسوف الفرنسي لوك فيري الذي يؤكد أن نيتشه خرج عن الميتافيزيقا لأنه فتح لنا طريق جديد في الفردانية فأول مرة مع نيتشه نستطيع أن نربط التاريخ بالفردانية ويعبر لوك فيري عن هذا في كتابه الإنسان الجمالي بقوله " الجمالية النيتشوية لا تنخرط في ميتافيزيقا الذاتية لأنها فتحت مجال جديد في الفردانية لم يكن موجود من قبل ¹⁵ ، والآن سنعاود الرجوع إلى سقراط وأفلاطون باعتبارهما الممثلين الأكبر للميتافيزيقا.

1 - سقراط: مع الخطاب السقراطي بدأ منهج التهمك والتوليد وبهذا حول سقراط الفلسفة للإجابة عن الماهية والجوهر حينما طرح ما المعرفة؟ ما الجمال؟. .. وقد عبر هايدجر عن هذا في كتابه نداء الحقيقة بقوله " ألا يتوه بنا السؤال عن الماهية في فراغ التعقيم الذي يكتم على أنفاس الفكر. .. أليس السؤال عن الماهية أقل الأسئلة أهمية وأبعدها عن الالتزام ¹⁶ "

2 - أفلاطون: انطلاقاً من أفلاطون أصبحت الكينونة تدرك بمعنى تمكين الكائن وتحقيقه بمعنى أنه قام بحفظ الكائن متناسياً ذلك الذي يمكنه¹⁷ 'فعهد الميتافيزيقا هو عهد تناسي الكينونة فمع أفلاطون بدأ عهد "تدشين أولوية الكائن.. الواقع، ما أسفر عنه هجر الكينونة للكائن وتخليها عنه"¹⁸ وقد عبر هايدجر عن بوادر الميتافيزيقا المغروسة في الفكر الأفلاطوني في كتابه نيتشه 2 بقوله "مع التأويل الأفلاطوني للكينونة بما هي الفكرة أو المثال تبدأ الفلسفة بما هي ميتافيزيقا"¹⁹

وعليه فإن الفكر الأفلاطوني والسقراطي قد تناسى الكينونة فهيدجر يطلق كلمة ميتافيزيقا على جميع "المذاهب الفلسفية والتيارات الحاسمة والأخلاقية والحركات العلمية التي يمتد ظهورها من أنكسمندر حتى نيتشه والتي تشترك جمعا في خطيئة نسيان الكينونة"²⁰ وبهذا يكون عهد الميتافيزيقا هو ذلك العهد "الذي لم يحفظ العهد ولا هو صانه لماذا؟ لأنه رفض للكينونة الحق في الاستتار فأراد أن يحيلها كامل الإجلاء والإبداء ليدع لها مختبئ ومستجارا فإذا به تنفلت منه ولا يظهر إلى الكائن"²¹

وتتواصل القراءة الهايدجرية للمفاهيم اليونانية بصورة جذرية وتقف هنا على المعنى الذي اتخذته كلمة الحقيقة مع أفلاطون باعتبارها خاصية لصواب التفكير والحكم أو سمة القول الصائب فهذا التشريع أدى إلى إخفاء وتقنيع التجربة الأصلية للمفكرين الإغريق الأوائل²² لذا يزعم هايدجر أن كلمة "Alétheia" تعني أو تفيد في التجربة الإغريقية اللا خفاء وفي هذا السياق يبرر هايدجر كون المفكرين الإغريق الأوائل لم يفهموا كلمة الحقيقة كمرسم لتفكير وإنما

سمة للكائن ذاته من حيث أنه يتبدى لهذا يزعم هايدجر أن الترجمة السليمة للحقيقة هي اللاحفاء." إن كنه الحقيقة من حيث عنت الألتيا بقي أمر غير مفكر به في الإغريق²³، لذلك كانت مهمة الفلسفة في هذه الحقبة متمثلة في استقصاء الكينونة.

لذا حمل هايدجر نفسه على إنقاذ مثل هكذا فلسفة كاشفا لكل مظاهر الخطأ والبهتان الدفينة فيها معلنا عن نهاية الميتافيزيقا فما المقصود بنهاية الميتافيزيقا؟.

إنّ نهاية الميتافيزيقا لا يعني أنها لن تظهر مجددا فهي تبقى مثلا موجودة في الدين، فنهايتها يعني أنها استنفذت جميع إمكانياتها مما يدعونا للبحث عن بدء آخر جديد يخطوا منحا مغايرا للمنحى الذي جدرته الميتافيزيقا وهنا يتدخل هايدجر لإبداع درب جديد مغاير للبدء الأول ويتحدث عن:

3 - حقبة الانتظار: إنّ هذه الحقبة هي حقبة وضع الميتافيزيقا على طاولة النقاش والكشف عن اللا مفكر وعن اللا منطوق الذي كان دفيناً في ثنايا الفكر الميتافيزيقي فسيتم في هذه المرحلة :

- النظر في شأن نسيان الكينونة.

- الإفصاح عن اللا مفكر فيه والمنسي.

- استدعاء واستحضار الكينونة الغائبة عهد الميتافيزيقا.

" إنّ حقبة الانتظار هي أولا حقبة النظر في نسيان الكينونة . الميتافيزيقا. ودفعها للإفصاح عن اللا مفكر فيه أو المنسي وإكراهها على استشعار الحاجة إلى عودة الكينونة²⁴

وبناء على هذا جاء هايدجر بمفهوم التقويض الميتافيزيقي فما الذي يعنيه هذا المفهوم؟.

التقويض لا يعني التخطيم والهدم وإنما التفكيك والتنحية أي معاودة النظر في المفاهيم التقليدية الموروثة ونقدها كون هذه المفاهيم لم تفصح عن معنى الكينونة وإنما غطتا²⁵ لذا فإن درب الفلسفة اليونانية قد انتهى واستنفذ جميع إمكانيته لذا أبدع لنا هايدجر درب جديد في سبيل الخروج من الميتافيزيقا متمثل في درب الجمالي نقصد الفن والشعر.

* باحثة في الفلسفة الألمانية ، جامعة وهران

المراجع :

- 1- محمد محبوب، هايدجر ومشكل الميتافيزيقا، دار الجنوب للنشر تونس، 1995، د ط، ص 107.
- 2- الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هايدجر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 1، 2008 ص 644
- 3- vergely, Bertrand , Heidegger ou l'exigence de la pensée , les essentiels milan , Gallimard , 1997 , p 10.
- 4- هايدجر مارتن، ما الفلسفة ما الميتافيزيقا هيلدلين وماهية الشعر، تر: فؤاد كامل ومحمد رجب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ط 2، 1974، ص 40
- 5 - الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 322
- 6 - غدامير هانس جورج، طرق هايدجر، تر: حسن ناظم، علي حاكم صالح، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، 2007، ص 296.
- 7- المرجع نفسه، ص 301
- 8- voi : Heidegger martin, Question 3 et 5 , trad : par jean Beaufret , édition : Gallimard , paris 1990 , p 58.
- 9 - محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 247.
- 10- voi : Heidegger martin, Question 3 et 5 , op. cit. p 120.
- 11 - الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 259.
- 12 - نقلا عن: الداوي عبد الرزاق، موت الإنسان في الفكر الغربي، مرجع سابق، ص 43
- 13 - Heidegger martin, Question 3 et 5 , op. cit , p 112.
- 14 - هايدجر مارتن، كتابات أساسية، الجزء الثاني، تر: إسماعيل مصدق، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2003، ص 99
- 15 - Ferry luc , Home asthrticuse , édition grasset paris , 1990 , p 220. 221.
- 16 - هايدجر مارتن، نداء الحقيقة، تر: عبد الغفار المكاوي، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، 1977، ص 249.
- 17 -Heidegger martin, Nietzsche 2 , trad : par pierre kolossouski ,bibliothèque de philosophe ; édition : Gallimard , paris ,1989 , 1990 , p 182.
- 18 - الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 247.
- 19- Heidegger martin, Nietzsche 2 , op cit , 180.
- 20- الداوي عبد الرزاق، موت الإنسان في الفكر الغربي، مرجع سابق، ص 45.
- 21- الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 263
- 22- هايدجر مارتن، كتابات أساسية، الجزء 2، ص 92.
- 23- Heidegger martine , chemins qu' ne mènent nulle part , trad : par Wolfgang brokmeier , édition Gallimard , paris , 1962 , p 55.

- 24 - المرجع السابق ، ص 247.
- 25 - هايدجر مارتن، الكينونة والزمان، تر: فتحي مسكين، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط 1، 2012، ص 80